والباقي للحربية العمومية والادارة والعسكرية في السودان (كما بينه المؤيد الاغر في عدد يوم الاثنين الماضي) و يدخل في هذا البيع أو الوفاق أو الشركة أن للانكليز الحق في أن يفتحوا ما شاءوا من بلاد أفريقيا برجال مصر وأموالها من غير رضاء أمير ولا سلطان. ولا لوم على الانكليز في اخلاف الوعود، ونقض العهود، فان هذا كله حرب وجهاد، و « الحرب خدعة » باتفاق العباد ، وانما اللوم والتثريب بل اللعن من الله وملائكته والناس أجمعين ، على من يفضل الموت فما دونه على تسليم بلاده ووطنه لاعدائه المحاربين والله عليم بالظالمين

الوعظ والوعاظ (*

قال أستاذ حكيم « ان الايمان تام في قلوب العامة يحتاج الى إيقاظ » وهي كلمة صحيحة لا ريب فيها ، والذي يوقظ الايمان حتى تصدر عنه آثاره الحسنة وتشعب فوائده وفضائله التي أدناها اماطة الأذى من الطريق — هو التذكير الصحيح والموعظة الحسنة فلو وجد فينا علماء مخلصون لهم غيرة على الدين بعدد مساجدنا وتولى كل واحد منهم الوعظ والتذكير في مسجد منها وارشاد خطيبه الى الخطب النافعة ولو بانشائها له لامكنهم إيقاظ الايمان في قلوب الناس ، ومتى استيقظ الايمان صدرت عنه آثاره وتلك سعادة الدنيا والآخرة

لا أعني بالعلماء من قرأ حواشي الصبان على الأشموني ومطولات الفقه بحيث يقدر على التنكيت في قوله وانتحال العلل لتقديم الأبواب والفصول وتأخيرها ولا من يحفظ فروعا كثيرة في أبواب الرقيق ونحوها مما لا يتعلق به عمل في هذا العصر ولا من عنده كثير من الاحكام الفرضية التي لا تهم فيحتاج الناس إلى معرفة حكمها كجواز التناكح بين الإنس والجن وعدمه ، وانما أعني بالعلماء كل من له وقوف على سر الدين وحكم التشريع وانطباق أحكام الاسلام على مصالح البشر وتأثيرها في

---

*) فاتحة العدد ٤٦ المؤرخ في ٢٣ رمضان سنة ١٣١٦ — ٤ فبراير (٢٤ ك) ١٨٩٩

سعادتهم في الدارين وحكمة في وضع الاشياء في مواضعها ومخاطبة الناس على قدر عقولهم واعطائهم ما تمس اليه حاجتهم ، وانما تجتمع هذه الصفات لمن يجمع بين العلم باخلاق الدين وعقائده وآدابه والعلم بأحوال الناس وشؤونهم ومرامي أفكارهم وكيفية معاملاتهم ، لا لمن يقول لا يمكن الجمع بين العلم واختبار شؤون الناس كما سمعناه من بعض مشاهير الشيوخ

الطب الروحاني الذي هو تهذيب الأخلاق وتقويم الملكات والعادات والوقوف بالنفس الناطقة الانسانية موقف الاعتدال هو كالطب الجثماني الذي غايته اعتدال مزاج البدن . وأهم ما في الطبين معرفة حقيقة المرض ثم معرفة علاجه والعلاج ووصف الدواء مشروح في الكتب ولكن بدن الانسان ونفسه لا يوضعان في الكتب فلا بد من النظر فيهما بما ترشد اليه المعرفة الصحيحة وكل من يتصدى لمعالجة الأبدان أو الأرواح قبل الوقوف على حقيقة مرضها فهو خادع أو مخدوع ولا يزيد علاجه المريض الا بلاء وعناء

تدخل مسجد سيدنا الحسين (عليه الرضوان والسلام) في هذه الأيام فتشاهد كثيرا من الوعاظ والمدرسين وقد حشر الناس اليهم حتى كادوا يكونون عليهم لبدا ، ولكن أكثر هؤلاء الوعاظ من أطباء النفوس الكاذبين الذين يضاعفون الداء فينهك من يعالجونه مرضاً حتى يكون حرضاً أو يكون من الهالكين ؟ يزيدون الظالمين خمولا بما يكررونه من عبارات التزهيد في الدنيا ويزيدون الفجار استرسالا في فجورهم بما يعدونهم ويمنونهم المغفرة والعتق من النار مهما عظمت الذنوب وتراكمت الاوزار ، فهم ان منهم من يأمر بالتوبة ويستتيب الناس ولكن تلك التوبة كلام بكلام فهي أيضاً من جملة أنواع التغرير ، فبتزهيدهم في الدنيا أمسكوا بالهمم عن تحصيل سعادتها الصحيحة وبتمنيتهم بالمغفرة والرحمة أمنوهم من العقوبة فبطل الخوف الذي يزجر عن المحرمات وصار الرجاء الذي يبعث على الجد في العمل غرورا ، والخوف والرجاء هما الجناحان اللذان يطير بهما صاحب الدين ، الى مرضاة رب العالمين ، وهي غاية السعادة الأخروية ، فهكذا تضافر الخطباء والوعاظ على قطع طريقي السعادتين ، وطمس معالم النجدين ، وتركوا المسلم مقصوص الجناحين

فمتى يفوز ومن عداه بعضه ومتى يفيق ومن ضناه طبيبه

حدثنا بعض أبناء المدارس الأذكياء انه جلس على أحد أولئك الوعاظ المدوسين فكان الدرس وهو في تقليم الاظافر مدعاة لاستغراب هذا الذكي لانه لم يكن يتصور أن الدين شرع لتعليم الناس كيف يقلمون أظافرهم ومتى يقلمونها . ولا أنكر ان بعض الكتب النافعة يوجد فيها كثير من اللغو الذي لا يصح في السنة ولا يرشد اليه العقل يشتغل به من لا قيمة للوقت عندهم فيضيعون الاعمار باللغو والعبث . ومن هذا اللغو بحث تقليم الاظفار وقد أوردوا فيه كلاما غريبا وجعلوا له ترتيباً وكيفيات وانتحلوا له فوائد وغوائل تختلف باختلاف الايام منها ان التقليم يوم الخميس يورث الغنى ويوم الجمعة يورث العلم ويوم السبت يورث الاكلة الخ

على ان هذا الدرس الذي لا ينفع ولا يضر الا بتضييع الوقت الذي لا قيمة له عند اكثر قومنا أخف مصابا على الأمة من الدروس الأخرى التي تنفث في الارواح سم التكسيل عن الكسب والتجرؤ على الاسترسال في اللهو والمعاصي والاعتذار عن التقصير بالقضاء والقدر ومثل هذه السموم يموت روح الدين

يا رباه ماذا أقول ؟ لو كان هؤلاء الوعاظ يقرؤن للناس شيئا من الاحكام الفقهية لما وصل اضرارهم الى هذا الحد . فالخطأ في الاعتقاد ينتج الكفر والخطأ في تهذيب النفوس ينتج فساد الاخلاق واختلال الاعمال وشقاء الأمة في الحال والمآل . أما الخطأ في الاحكام الفقهية فالأمر فيه أهون لأنه لا يكون غالباً الا في الاحكام الخفية التي يعذر جاهلها ولا يؤاخذ المخطيء بها على ان هذه الاحكام لما يكثر فيها من الخلاف لا يكاد يعدو المدرس قول فقيه يؤخذ بقوله ومع هذا كله تجد علماءنا لا يبالون الا بهذا الفن الذي يسمونه فقها وقد أهملوا في الاكثر فقه الدين وهو تهذيب الاخلاق الذي هو موضوع البشارة والانذار اللذين لم ترسل الانبياء الا لأجلهما بشهادة قوله تعالى (وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا) وقد بينا من قبل ان الفقه في الدين هو ما تعلق به الانذار بدليل قوله عز وجل (ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم) لا علم الاجارة والبيع والسلم ونحوها

يظن أكثر شيوخنا أن علم الاخلاق الذي هو مادة الوعظ والتذكير بديهي

لا حاجة الى دراسته وتلقيه لسهولته بخلاف الفقه — وهو من أغرب الفنون الأتية فان موضوع هذا العلم قوى النفس الانسانية وصفات الروح العاقل المدبر للبدن المتصرف له في أعماله وغايته السعادة الحقيقية لان السعادة ثمرة الاعمال الصالحة الفاضلة والاعمال تابعة للاخلاق حسنا وقبحا كما أوضحناه في مقالة سابقة. لاجرم أن هذا العلم من أدق العلوم وأعزها كما انه من ألذها وأنفعها

كان من أهم وظائف الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر والاستاذ الفاضل السيد علي الببلاوي لقتاء الوعاظ والمدرسين للمسجد الحسيني من أعظم الشيوخ بالتهذيب وأفقههم في الدين وأكثرهم وقوفا على ماتمس اليه حاجة الناس في مصالحهم وامتحان من يتصدى لذلك مدعيا الكفاءة كما امتحن الامام علي كرم الله تعالى وجهه الحسن البصري فقد روي أنه دخل مسجد البصرة أو الكوفة فرآه كالمسجد الحسيني في هذه الايام مملوءا بالقصاص فطردهم الا الحسن فانه رأى عليه سيما العلم والصلاح فقال له يا فتى إني سائلك عن شيء ان أجبت عنه والا طردتك كما طردت أصحابك ثم قال له ما ملاك الدين ؟ فقال الحسن الورع، فقال له وما فساد الدين ؟ قال الطمع. قال اثبت فذلك من يتكلم على الناس. وانما اكتفى الامام منه بهذا لانه مع صغره يؤذن بأن الحسن يعظ لوجه الله تعالى لا طمعا في نوال المستمعين واستمالة قلوبهم كما عليه اكثر القصاص من ذلك العصر الى اليوم. ومن كان يريد الحق يهتدي اليه ومن كان يريد القرب من الناس فان الهوى يعميه ويصده عن سبيل الحق فيقص عليهم ما يرى انه يسرهم وان كان يضرهم وما يرضيهم وان كان يضرهم فيكون ضالا مضلا. وان هل من يعلم الحق ويكتم مثل ماعلى من يتكلم بغير الحق من الوزر أو أكثر ومثلها في ذلك من يقدر على ازالة المنكر ووضع المعروف في موضعه ولا يفعل. فعسى ان يحاسب العلماء أنفسهم ويقوم كل بما يجب عليه فترى المساجد في جميع الشهور (لا في رمضان فقط) ينابيع لعلوم الدين وتهذيب المسلمين وينتفي بعلم الراسخين جهل الجاهلين والله ولي المتقين

يمكنني أن أذيل كلامي هذا بكلمة ثناء على أمثل مجلس حضرته في وعظ العامة في مصر اعترافا بالحق لاهله وتنبيها للواعظ والموعوظ. ذلك مجلس الاستاذ الفاضل

الشيخ علي الطرابلسي فقد خطب في أحد المساجد خطبة ما سمعت مثلها من أحد من قبل ولا من بعد ثم صلاة مجلس وعظ لا يتناوله شيء من انتقاد هذه المقالة ولا الشيخ ممن يشاء الى صراط مستقيم

الاسلام والترقي

امتازت جريدتنا « المنار » بالتنويه المتواصل بان الاسلام جاء بمبادئ كفيلة لعروج الامم الى سماء السيادة العلياء وبلوغها مراتب السعادة القصوى، لانها أبطلت جميع الاعتقادات التي تحول بين الانسان وبين كماله كالاعتقاد بأن الانسان ناقص حقير لا يصح له ان يرفع أعماله الحسنة الى الجناب الالهي الاقدس ولا ان يطلب من مولاه الحقيقي العفو عن تقصيره وتفريطه بالتوبة الصحيحة بينه وبين ربه الرؤف الرحيم الا بواسطة رؤساء الدين المعبر عنهم بالقديسين أو الأولياء المقربين. فأبطل الامتياز الصنفي وألغى هذه الوساطة والرئاسة التي تهبط بالطباع وجعل الناس كلهم عبيداً لله وحده أحرارا بالنسبة لما سواه لا فضل لاحد على أحد الا بالعلم والعمل والكمالات المكتسبة. وكما أبطل سلطة الرؤساء الروحانيين قيد سلطة الملوك والحكام (كما بينا ذلك من قبل) بشريعة حقة مبنية على أصول الحرية الصحيحة والعدل والمساواة التي سادت بها أوربا في ممالكها واعتز سلطانها ولم تقتبسها الامم الاسلام وستضطر أوروبا الى الاخذ بما لم تأخذ به من قواعد الاسلام كايجاب الزكاة التي هي العلاج الوحيد لمرض من أشد الامراض الاجتماعية وهو الاشتراكية وكاعطاء المرأة حقوقها التي كانت مهضومة قبل الاسلام عند جميع الامم في الشرق والغرب فجاء القرآن يقول « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » واحدة وهي القيامة بالرعاية والحراسة والانفاق لأن الفطرة والطبيعة تعطيه حق رئاسة المنزل وحراسته والانفاق عليه لانه أقوى وأقدر على الكسب. وفي الحديث الشريف « النساء شقائق الرجال » فاقتبست أوربا ذلك وعظمت شأن النساء ولكن لم تأخذ بكل ما جاء به الاسلام في ذلك لان الاوربيين ما فتئوا يمنعون المرأة التصرف بمالها